

فصل في محبة الله عزوجل

٤

يقول الإمام ابن القيم «أصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله وأصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل، فأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله، كما أن أصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله وكلّ إرادة تمنع كمال الحب لله ورسوله وتزاحم هذه المحبة، أو شبهة تمنع كمال التصديق؛ فهي معارضة لأصل الإيمان أو مُضعفة له».

ويعنى الإمام بذلك أن حب الله هو أصل كل عمل صالح والإنسان يزاحمه إما شبهة وإما شهوة والشبهة علاجه العلم والشهوة علاجهما (الخوف + الرجاء + الحب) .

فصل في كلمة لا إله إلا الله

٥

يقول الإمام «وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات. وعليها أُسست الملة، ونُصبت القبلية، وجُردت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار. وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنة إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلق بسببه وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام. وبها انقسم الناس إلى شقي وسعيد، ومقبول وطريد. وبها انفصلت دار الكفر من دار الإيمان، وتميّزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان. وهي العمود الحامل للفرس والسنّة، "ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة"

وهذه الكلمة هي روح الإنسان وكلما قام الإنسان بالقيام بحقها كلما سمت روحه ولو لم يقم بها ماتت روحه.

أنواع الحركات

٦

وذلك لأن الحركات ثلاثة أنواع:

حركة اختيارية إرادية | حركة طبيعية | حركة قسرية

إذا ثبت هذا، فما في السموات والأرض وما بينهما من حركات الأفلاك والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر والنبات وحركات الأجنة في بطون أمهاتها، وإنّما هي بواسطة الملائكة المدبّرات أمراً والمقسّمات أمراً، كما دلّ على ذلك نصوص القرآن والسنة في غير موضع.

وإذا عُرف ذلك فجميع تلك المحبّات والحركات والإرادات والأفعال هي عبادة منهم لربّ الأرض والسموات، وجميع الحركات الطبيعية والقسرية تابعة لها. فلو لا الحب ما دارت الأفلاك، ولا تحركت الكواكب النّيرات ولا هبّت الرياح المسبّرات، ولا مرّت الشّجّبات الحاملات، ولا تحرّكت الأجنة في بطون الأمهات، ولا انصاع عن الحبّ أنواع النبات، ولا اضطربت أمواج البحار الزاخرات، ولا تحركت المدبّرات والمقسّمات، ولا سبّحت بحمد فاطرها الأرضون والسموات، وما فيها من أنواع المخلوقات.



الداء والدواء
بشرح المهندس علاء حامد



تابع حديث ابن القيم الحلقة الماضية

وقد تقدّم أنّ العبد لا يترك ما يحبه ويهواه إلا لما يحبه ويهواه، لكن يترك أضعفهما محبةً لأقواهما محبةً؛ كما أنه يفعل ما يكرهه لحصول ما محبته أقوى عنده من كراهة ما يفعله.

أو لخلاصه من مكروهٍ كراهته عنده أقوى من كراهة ما يفعله وتقدّم أنّ خاصية العقل إثارة أعلى المحبوبين على أدناهما، وأيسر المكروهين على أقواهما.

يقول ابن القيم: «ولا يتمّ له هذا إلا بأمرين: قوة الإدراك، وشجاعة القلب فإنّ التخلف عن ذلك والعمل بخلافه يكون إما لضعف الإدراك يدرك مراتب المحبوب والمكروه على ما هي عليه، وإما لضعف في النفس وعجز في القلب لا يطاوعه لإثارة الأصلح له، مع علمه بأنّه الأصلح فإذا صح إدراكه، وقويت نفسه، وتشجّع القلب على إثارة المحبوب الأعلى والمكروه الأدنى، فقد وُفق لأسباب السعادة»

و يقول الإمام «فمن الناس من يكون سلطان شهوته أقوى من سلطان عقله وإيمانه، فيقهر الغالب الضعيف ومنهم من يكون سلطان إيمانه وعقله أقوى من سلطان شهوته»

يتحدث بعد ذلك عن ضرورة النظر في العواقب فيقول «فأعقلُ الناس من أثر لذته وراحته الآجلة الدائمة على العاجلة المنقضية الزائلة، وأسفه الخلق من باع نعيم الأبد وطيب الحياة الدائمة واللذة العظمى التي لا تنغيص فيها ولا نقص بوجه ما، بلدّة منعقة مشوبة بالآلام والمخاوف، وهي سريعة الزوال وشيكة الانقضاء»

أنواع المحبوبات

٢

وهذا النوع ينقسم لقسمين:

ما يُلْتَذُّ المُحِبُّ بإدراكه وحصوله

ما يتألّم به ولكن يحتمله لإفضائه إلى محبوبه

محبوب
لغيره

محبوب
لنفسه

الأمور على أربعة أحوال:

٣

مكروه يُوصل إلى مكروه

مثل شرب الدماء حرام وفي نفس الحين هو شئ غير محبوب للنفس فلا تجد أحد يجاهد نفسه في هذا النوع.

ومكروه يوصل إلى محبوب

الإففاق / الجهاد / قيام الليل وهذا النوع اختبار للبشر ويجد العبد فيه مشقة ومجاهدة